Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Bar-Ilan University

DANGOOR EDUCATION

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/bechukotai/a-sense-of-direction/

"بِحُوقُوتاي" هو النصُّ الأسبوعي العاشر والأخير من كِتاب "فَيِقرا" (أي سِفر اللاويّين)، وهذا النصّ الأسبوعي يبدأ بالآية الثالثة من المقطع السادس والعشرين، ويَنتهي بالآية الرابعة والثلاثين من المقطع السابع والعشرين.

الوُجهَةُ الصَّحيحة

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

تمتلِكُ الهواتفُ الذكية القُدرةَ على أداء أمورٍ مُذهلةٍ بالفعل، وأحد الأمثلة على تطبيقاتها الرائعة هو تطبيق ويز (Waze)، هذا التطبيقُ الإسرائيلي لتَحديد المسارات والطرق والمواقع والذي تبنّته شركة جوجل مؤخراً. لكن هنالك أمورٌ يعجزُ عن القيام بها حتى تطبيق ويز نفسه، فهو يُساعدك على إيجاد المَسار المُناسبِ للوصول إلى وُجهةٍ معينة، لكنه لا يُساعدك على تحديد الوُجهة نفسها، فهذا أمرٌ يجبُ على الإنسان نفسه أن يُقرره.

إنّ اتخاذ الوُجهة النهائية للمَكان الذي نريد أن نكون فيه هو أحدُ من أصعب القرارات التي نتَّخذها في الحياة، وبدون معرفةٍ للغايةِ والمحطة النهائية لوُجهتنا فإنّ حياتنا ستكون تائهةً هائِمة، وحين نجهلُ أين نريد الذهاب فإننا لن نذهب إلى أي وُجهة بغض النظر عن مدى سرعتنا في السفر. لكن وبالرغم من أننا نجد أناساً يُمضون شهوراً طويلة في التخطيط لقضاء بعض أيام العُطلة، إلا أنهم لا يُمضون يوماً واحداً للتخطيط للحياة، فهم ببساطة يتركون الأمورَ تسيرُ بطريقة عَشوائية وليَكُن ما يكُن.

وهذا تحديداً هو موضوعُ هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة، وهو موضوعٌ ينطبقُ على شعبٍ بأكمله، لا على الأفراد فحسب. لقد وضعَ اللهُ عز وجل هذا القرار الحاسم من خلال نبيّه ورسوله موشيه/موسى، حين قال:

"إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُم بِالْقِطَافِ وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلاَمًا فِي الأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ"، بحسب ما تُخبرنا الآيات 3-6 من المقطع السادس والعشرين من سفر اللاويين.

لكن من جهة أُخرى، بحسب ما تُخبرنا الآية الرابعة عشر، إن **"لم تسمعوا لي وتعملوا جميع هذه الوصايا"** ستقعُ الكوارثُ وتحلّ المصائِب. كما أن اللعنات والمصائب المذكورة بالتفصيل في هذه الآيات تَجعَلُها من أكثر نُصوصِ التّناخ* رُعباً، خاصة وأنها تتحدّثُ عن كوارثَ ستحلّ على مستوى شعبٍ بأكمله، مما يجعلُها مملوءة بمشاعر اليأسِ والإحباط. في الوقت نفسه فإن النصّ نفسه- بما يحتويه من نِعَمٍ ونِقَمٍ - يحتمل القراءة بطريقة طبيعية اعتيادية أو بطريقة تفوقُ حدود الطبيعة. فحين نقرأه بالأسلوب الاعتيادي فإن قَدَر بني يسرائيل – على الأقل في عهد التّناخ – كان نتيجةً مُباشرةً لِمدى ولائهم وإخلاصهم للتوراة من عدمه، حيث كان الله عزّ وجلّ يتدخّل عبر مراحل التاريخ المُختلفة حتى يُكافئ الصالِحَ ويعاقِب الطالِحَ، وما حلَّ ببني يسرائيل سواء كان مجاعة أم جفافاً أم هزيمة عسكرية جميعها نتائجٌ لما اقترفوه من مَعاصي، في حين أن كل عامٍ سالمٍ ومُثمرٍ كانَ نتيجة لطاعتهم لله عز وجل، وهكذا فهِم أنبياء اليهود ورسلهم التاريخ اليهودي.

في الوقت نفسه توجدُ طريقةٌ أكثر اعتيادية وطبيعية للقراءة تقومُ على فكرة أن التدخّل الإلهي يكون من خلالنا نحنُ البشر على المستوى الداخلي أكثر منه على المستوى الخارجي. بمعنى أن وجودَ بني يسرائيل في أرض يسرائيل سيكون محفوفاً بالمخاطر القادمة من دول الأعداء والإمبراطوريات المُحيطة بهم والتي قد تكون أعظم وأكثر قوّة من بني يسرائيل، كما سيكونون عُرضة لمخاطر الفيضانات والجفاف وغيرها من الكوارث الطبيعية، لأن أرض يسرائيل – خلافاً لمنطقة دلتا النيل وأرضِ النيل والفرات – لا تحتوي على ثروات مائية طبيعية دائمة أو مستقرة. لهذا، سيكون بنو يسرائيل في حالة نظر دائمٍ إلى الله عز وجل في عالي سماواته، وهذه حقيقة يُدركها اليهودُ جيداً بما فيهم العِلمانيون وغيرُ المتدينين، وهذا ما عبر عنه ديفيد بن غوريون أوّل رئيس وزراء إسرائيليّ حين قال: "في إسرائيل، حتى تكون واقِعياً فإنه ينبغي عليك أن تؤمن بحدوث المُعجزات".

بالتالي، وانطلاقاً من هذه المنهجية في القراءة، فإن أسلوب الحياة الذي وضعته التوراة لنا يعتبر منهجاً فريداً ومميّزاً انطلاقاً من كونه طبيعياً واعتيادياً أكثر من كونه خارقاً للطبيعة. إنه النهجُ القائم على إرشادِ الله عزّ وجل لنا، لكن ليس كإلهٍ يُخطط استراتيجياً عبر التاريخ، بل كإلهٍ يُرشدنا إلى نهج الحياة الذي يُريدنا أن نتبعه حتى نحظى بنعمه وبركاته. والتوراة تُعدُّ بمثابة مجموعة التعليمات الحياتية التي وضعها صانِع هذه الحياة وخالقها، وهذا ما قصده كبار الحاخامات عندما تحدّثوا عن بداية الزمان والتكوين قائلين: "لقد نظرَ الله عز وجلّ إلى التوراة، ثم خلقَ هذا العالم". كما أن الحياة ضمن تعاليم التوراة – انطلاقاً من هذا المنظور – تَعني تعاونَ الإنسانِ مع القِوى التي من شأنها أن تجعله ينمو ويزدهر، خاصة في حالة مثل حالة بني يسرائيل، أي شعبٌ صغيرُ العدد يُحيطُ به الأعداءُ من كل جانب.

لكنَّ ما كان مُميّزاً جداً في رؤية التوراة للمُجتمع هو اهتمامها بالفَرد على وجه الخصوص، وبأن العدالة هي قيمةٌ ساميةٌ وهامّةٌ جداً في هذا السياق، بالتالي لا يجب أن يكون المجتمع مبنياً بطريقة يحظى فيها الغنيّ بمعاملة خاصة في حين يُتركُ الفقيرُ غارقاً في فَقره وبأسه. وحينما يتعلّقُ الأمر بالاحتفالات والمناسبات الجماعية فإنها يجبُ أن تشملَ الجميع وعلى رأسهم الأيتام والأرامل والغُرباء، أضِف إلى ذلك أنه لكل منهُم نصيبٌ من حصاد الحبوب والخضار والفواكه والمزروعات عموماً. كما يجبُ أن يُعامل الموظفون والعُمّال بكل عدلٍ وإنصاف، وحتى عندما وُجِدَ عبيدٌ في تلك الحقبة، فإن يوماً من أيام الأسبوع السبعة كان بمثابة يوم عطلة يستطيعون فيه تنفسّ هواء الحرية الذي يستمتعُ به أسيادهم. بالتالي يوجدُ لكل شخصٍ حِصّة ونصيبٌ في هذا المُجتمع، الأمر الذي يجعلهم يُدافعون عن أرضهم وبلدهم حتى لو كلّفهم ذلك أرواحهم.

***مُلاحظة توضيحية من المترجم**: التَّناخ هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغوغرافا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

كما أن بني يسرائيل لم يكونوا بمثابة جيشٍ شكّلهُ أحد الحكام حتى يُقوموا بحماية حُكمه والدفاع عنه هو شخصياً، ولهذا السبب كانوا قادرين على إلحاق الهزائم بالأعداء والجيوش التي كانت تفوقهم عدداً وقوُّة. أضِف إلى ذلك أنهم كانوا يمتلكون بوصلة توضّح لهم غايتهُم وَوُجهَتَهُم في المَضيّ قُدُماً، وهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة الرئيسيّة التي تردّدت في سياق الحديث عن المصائب واللعنات التي قد تحل ببني يسرائيل، إنها كلمة **"قيري"**، وهي كلمةٌ تتكرّرُ سبع مراتٍ في هذا النص الأسبوعي، في حين لا تظهرُ في أي موضعٍ آخر في كتاب التناخ بأكمله، حيث تقول الآيات 23-24 من المقطع السادس والعشرين من سفر اللاويين: **"وَإِنْ لَمْ تَتَأَدَّبُوا مِنِّي بِذلِكَ، بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ (قيري)، فَإِنِّي أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ، وَأَضْرِبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ" .**

وهُناك عِدّة تفسيراتٍ لكلمة **"قيري"** الواردة في هذه الآيات، فتبعاً لترجمة أُنكِلوس* فإنها تَعني "بمُنتَهى العِناد"، في حين أن الحاخام سعاديا چاؤون وضّح بأنها تعني "على نحوٍ ثَوريّ"، أما الحاخام شلومو يسحاقي (المعروف باسم الحاخام راشي) فقد وضح بأنها تعني "المُعاملة الفردية لكل مسألة"، وآخرون فسّروا هذه الكلمة بمعنى "بصعوبة" أو "بمُنتهى الحِقد". لكن كان للحاخام موشيه/موسى بن ميمون تفسيرٌ مُختلفٌ ومُرتبطٌ بالكلمة العبرية **"مِقريه"** (والتي تعني الصُّدفة)، وهو تفسيرٌ كان له انعكاسٌ وتأثيرٌ جُزئيّ في تفسيرات الحاخام راشي والحاخام راش بام وبن عيزرا والحاخام حيزقوني وغيرهم. وتبعاً لتفسير الحاخام موشيه بن ميمون فإن تلك الآية تعني: "إذا كنتُم تؤمنون بأن ما يحدثُ لكُم هو نِتاج الصّدفة، فالله عز وجلّ يقولُ لكُم بأنه سوفَ يتركُكُم للصُّدفة".

وعبر هذا التفسير للآيات نجدُ أن سفر اللاويين قد خُتِم تماماً كما بدأ، أي أن قَدَرَ اليهود واقعٌ بين الكلمتين **"مِقرا"** (التي تعني النداء المُحبّب) والكلمة **"مِقريه"**(التي تعني الصُّدفة)، بمعنى أن حياتهم محصورة بين رؤية الحياة على أنها نِداءٌ وعملٌ لهُ وُجهةٌ مُحددة، ورؤيتها على أنها مجرد حدثٍ عبثيّ وعشوائيّ يُحيطُ بنا دون أي غاية أو هدف[1].
إنّ الحال نفسه ينطبق على الفرد والمُجتمع ككُلّ: فإن كنتَ ترى أن ما يحدثُ معك هوَ من باب الصدفة فإن مصيرك وقدرك سيكون محكوماً بهذه الصدفة، وهذا ما قصده كبار الحاخامات عندما قالوا: "في كل موضعٍ في التوراة نجدُ فيهِ كلمة "فَلتكُن أو فَليكُن"، فإنها بمثابة تمهيدٍ لمصيبة تَلوحُ في الأفُق" (تِبعاً لما هو مذكورٌ في باب المِچيلاه 10ب). بالتالي فإنك في كل مرة تتركُ الأحداث تسيرُ بعشوائية وعبثية فإنك ستجدُ نفسك عُرضةً لأهواء وتقلّباتِ القدَر، بل وأهواء وتقلّباتِ الآخرين أيضاً.

لكن حين تؤمنُ بأنك موجودٌ هُنا لغايةٍ مُحددةٍ فإن حياتك ستسيرُ باتّجاه هذه الغاية، بحيث ستتركّز عليها طاقاتك وسيتولد لديك إحساسٌ بوجود مهمّة لك، مما سيمنحك القوّة للقيام بأمور مُميزة جداً في سبيل تحقيق هذه الغاية، وهذه هي الفِكرة التي يقوم عليها وجودُ اليهود في هذا العالم، فهُم لم يؤمنوا أبداً بأن هذا الكونَ محكومٌ بالصُّدفة مثلما كان يعتقدُ البشرُ في الماضي ومثلما يؤمنُ المُلحِدون في عصرنا الحالي، إذ هل كانَت الصُّدفةُ هي السببَ الكامن وراء الاهتزاز العشوائي في الفراغِ الكمّي الذي أدى إلى الانفجار الأعظم والذي كان السبب في وجودِ هذا الكون؟ أم أن الصدفة هي التي جعلت هذا الكون محكوماً بستة ثوابت رياضية على وجه التحديد؟ (وهي العوامل الستة اللازمة لتكوين النجوم والكواكب والعناصر الكيميائية الضرورية لظهور الحياة). أم أن الصدفة هي التي جعلَت الحياة تتكوّنُ أساساً من العناصرِ غير الحيّة؟ أم أن الصدفة هي التي جعلت كائناً واحداً من بين مئات ملايين أنواع الكائنات الحية، وهو النّوعُ البشري، قادراً على أن يَتساءلَ قائلاً "لماذا"؟

بالتالي وانطلاقاً من هذه النظرة، فإنه لا يوجد ما يدعو للتناقض على الإطلاق، كما أنها نظرةٌ تتوافقُ مع العلوم والحقائق العلمية التي نعرفها أو التي سنكتَشفها لاحقاً. ومن منظور هؤلاء فإن الكون هو مُجرّد **"قيري"**، أي أنه مُجرد صُدفة، والحقيقةُ انه يوجدُ الكثيرون الذين يؤمنون بهذه الفكرة التي لا تحمل في طيّاتها أي "لماذا"، لا على مستوى الأفراد ولا

***مُلاحظة توضيحية من المُترجم**: تَرجوم /ترجمة أُنكِلوس (תַּרְגּוּם אֻנְקְלוֹס) هى الترجمة اليهودية الآرامية الرئيسيّة للتّوراة، والتي اعتُمِدت كترجمة رسميّة ثم أصبحت الترجمة الآرامية القياسية للتوراة التي يستخدمها اليهود على نحو يوميّ، بالرغم من أنّ اللغة الآرامية لم تعُد مُستخدمة من قبل غالبية اليهود. وترجمة أنكِلوس تُنسَبُ إلى أحدِ نُبلاء الرومان الذي اعتنقَ الديانة اليهودية ويُدعى أنكِلوس، حيث عاش في القرن الأول قبل الميلاد (بين عامي 35 –120 ق.م). كرّس أنكِلوس حياتهُ لدراسة التوراة وأصبَح من أتباع الحاخام إليعيزَر بن هورقانوس والحاخام يهوشوع بن حَنانيا. هنالك قصة معروفة عَن أنكِلوس وعمّه الذي كان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية، حين نصحهُ بأن يمضى قُدُماً فى البحثِ عن أمر ليس بتلكَ القيمة في تلك الفترة لكنه سيُصبح في غاية القيمة مُستقبلاً، فمَضى أنكِلوس باحثاً عن هذا الأمر ووجدَ الديانة اليهودية.

على مستوى الجماعات، فهذا الكون جاء من باب الصدفة ووجودنا في هذا الكون لا يتعدّى كونه حادِثاً عرضياً تبعاً لفهمهم. لكن اليهودَ يؤمنون بعَكس ذلك، وباعتقادي لا يوجدُ أحدٌ عبّر عن هذا الإيمان اليهوديّ الراسخِ مثل المؤرّخ المسيحي الكاثوليكي بول جونسون حين قال:

"لا يوجدُ قومٌ آمنوا بكل حزمٍ وإصرار بأن لهذا العالم غاية مُحددة وأن للبشرية غايةً مُحددةً كاليهود، فمنذُ مرحلة مُتقدمة من مراحل وجودهم الجماعيّ آمنوا بأنهم وَجَدوا خطة إلهية مُعينة وضعها الله عزّ وجلّ للجنس البشري، هذه الخطة التي كان المجتمع اليهودي بمثابة العينة التجريبية لها. وقد أدّوا دورهم في هذه الخطة الإلهية بمنتهى البراعة والدقّة، كما تمسّكوا بها بمنتهى البطولة والإصرار بالرغم من المعاناة الشديدة التي تعرّضوا لها. والكثير منهم لا زالوا متشبّثين بهذا الاعتقاد، والبعض الآخر قاموا بتحويله إلى جهود بروميثية (نسبةً إلى بروميثيوس في الميثولوجيا الإغريقية الذي ضحّى بنفسه من أجل البشر) لتَحسين حال الإنسانية بكافة الوسائل البشريّة المُتاحة. بالتالي أصبحت الرؤية اليهودية بمثابة نموذجٍ لخُططٍ أسمى للبشرية، خططٌ إلهية وبشرية على حدٍ سواء، الأمر الذي يجعل اليهود في قلبِ المحاولات الخالدة لمنح البشرِ شَرَفَ إيجاد المعنى والغاية من وجودهم". [2]

إن أولئك الذين يُحدِثون التغييرَ في العالم هم الذين يؤمنون بوجود غاية مُحددة لهذه الحياة، وبأن هذه الحياة لها مَسارٌ ووُجهة مُحددة، فهم يعرفون أين يذهبون تحديداً وما الذي يرغبون في تحقيقه وإنجازه، وبالنسبة للديانة اليهودية فإن غايتها واضحةً وُضوح الشمس: أن تُبيّن لصَحراء البشرية أين توجدُ الواحةُ التي يتعايش فيها العدلُ مع الحرية، وتنتصرُ فيها العدالة عندما نهتمُّ بالفقراء والمساكين ونمد يدنا لمن يحتاج العون، وعندما ننسِبُ أخطاءنا إلى أنفسنا بينما ننسبُ نجاحنا وإنجازاتنا إلى الله عز وجل، وعندما نُقدّر هذه الحياة باعتبارها هِبة من الله فنفعل كل ما بوسعنا لِتقديسها.

بصريح العبارة، إن غاية اليهودية هي النقيضُ التامّ للعُنف والوحشية التي يرتكبها المتدينون المتطرفون باسم الله عز وجل. وحتى نُحقّق هذه الغاية فإنه يتوجبُ علينا أن نستشعِر وجود الغاية الجماعية من وجودنا والمتمثلة في الخيار الذي طرحهُ موشيه على بني يسرائيل بالنيابة عن الله عزوجلّ: **"مِقرا"** أم **"مِقريه"**؟ بمعنى هل جاءت هذه الحياة بمحض الصدفة؟ أم أنها نِداءٌ إلهيٌ من الله عز وجلّ للوصول إلى الجمال الروحانيّ والأخلاقي الذي من شأنه أن يقودنا للخلاص من همجية السعي وراء القوّة والسلطة؟ باختصارٍ شديد، تتلخّصُ غاية اليهود في هذه العبارة: "أن يَمنحوا البشرَ كرامةَ إيجاد المعنى والغاية لوجودهِم".

---

1. انظر المقالة السابقة التي تحمل عنوان "البحث عن معنىً للحياة" التي تناقش النص التوراتي الأسبوعي "فَيِقرا".
2. المصدر: Paul Johnson, "Prologue" to *A History of the Jews* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1987)

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*